الجمهورية الجزائرية ديمقراطية الشعبية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلية أصول الدين

الدكتور: بن عباس عبد المالك .

أستاذ محاضر "أ"

عنوان المداخلة: التكامل المعرفي بين علوم الشريعة والعلوم العقلية عند ابن حزم.

المحور 4: تحديد واستقراء المتطلبات الضرورية للتكامل المعرفي بين العلوم الإسلامية والاجتماعية والإنسانية.

استطاع ابن حزم من خلال مسيرته العلمية أن يحقق توافقا بين العلوم الشرعية والعلوم العقلية، وذلك من خلال مؤلفاته التي أشاد فيها بضرورة تعلم الفلسفة وعلم المنطق، وهي المهمة التي تولاها في كتابه الشهير " التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية" ، وهي محاولة تدخل ضمن تحقيق تكامل معرفي بين علم الشريعة وعلوم الأوائل التي تعتبر خطوة جريئة بين فيها ابن حزم موقفه من دراسة المعقول في إطار دفاعه عن المنقول.

لقد أحس ابن حزم برغبة شديدة في تحقيق رؤية تكاملية بين علوم الشريعة وبين العلوم الكونية، ومن الضروري أن يكون هناك جسر معرفي يربط بين مجالين يشكلان النقل والعقل ، ويحققان ترابطا متكاملا والمتمثل في تدعيم علوم الشريعة بالبراهين العقلية وما تقدمه المشاهدة والتجربة.

الإشكالية المطروحة : ما هي جهود ابن حزم في تحقيق التكامل المعرفي بين العلوم الشرعية والعلوم العقلية من خلال مشروعه الظاهري؟ وما هي الآليات التي اعتمدها ابن حزم في إطار بناء رؤية تكاملية؟ وما هي الصعوبات التي واجهت رؤيته التكاملية؟

علم الشريعة: يتحدث ابن حزم في كتابه " مراتب العلوم" عن علم الشريعة في الاسلام فيقسمها الى أربعة أقسام: علم القرآن، وعلم الحديث ، وعلم الفقه، وعلم الكلام..وهذه العلوم الأربعة هي بمثابة أصول حيث تنقسم بدورها الى أقسام ، حيث ينقسم علم القرآن الى علم القراءة والتفسير، كما ينقسم علم الحديث الى علم الرواية وعلم الدراية، وينقسم الفقه الى علم أحكام القرآن وعلم أحكام الحديث، وعلم أصول الفقه، وينقسم علم الكلام الى علم العقيدة وعلم الفرق واختلافاتها ...

1 – دعوة ابن حزم الى ضرورة دراسة علوم الأوائل:

1 – موقف ابن حزم من دراسة علوم الأوائل:

يقول ابن حزم:" « اعلم – وفقنا الله وإياك لما يرضيه – أن علوم الأوائل وهي الفلسفة وحدود المنطق التي تكلم فيها أفلاطون وتلميذه أرسطاطاليس والاسكندر ومن قفا قفوهم، وهذا علم حسن رفيع لأنه فيه معرفة العالم كله، بكل ما فيه من أجناسه إلى أنواعه إلى أشخاص جواهره وأعراضه، والوقوف على البرهان الذي لا يصح شيء إلا به، وتمييزه مما يظن من جهل أنه برهان، وليس برهانا، ومنفعة هذا العلم عظيمة في تمييز الحقائق مما سواها»[1]

2 – موقف ابن حزم من دراسة المنطق:

علم المنطق وعقدة الاحتماء بالسلف:

يجيب ابن حزم على اعتراض مفاده: فهل تكلم أحد من السلف الصالح في هذا؟ فيقول : «قيل له إن هذا العلم مستقر في نفس كل ذي لب، فالذهن الذكي واصل بما مكنه الله تعالى فيه من سعة الفهم إلى فوائد هذا العلم، والجاهل منكسع كالأعمى حتى ينبه عليه، وهكذا سائر العلوم»[2]

---

[1]– ابن حزم ، رسالة التوقيف على شارع النجاة، (رسائل ابن حزم الأندلسي)، ج3، ص 131.

[2] – ابن حزم ، التقريب ، ص 3.

وهكذا كان حال السلف الصالح فقد كان هذا العلم مستقرا في نفوسهم حتى ولو اتخذ صورا بسيطة مثله كمثل سائر العلوم،وابن حزم بموقفه هذا إنما يدافع عن نشأة هذا العلم وتطوره عبر المراحل على طريقة مؤرخي العلوم، وهذا ما أكده بقوله : « فما تكلم أحد من السلف الصالح، رضي الله عنهم في مسائل النحو، لكن لما فشا جهل الناس باختلاف الحركات التي باختلافها اختلفت المعاني في اللغة العربية، وضع العلماء كتب النحو، فرفعوا إشكالا عظيما، وكان ذلك معينا على الفهم عن ربه تعالى، فكان هذا من فعل العلماء حسنا وموجبا لهم أجرا، وكذلك القول في تواليف كتب العلماء في اللغة والفقه، فإن السلف الصالح غنوا عن ذلك كله بما أتاهم الله من الفضل ومشاهدة النبوة، وكان من بعدهم فقراء الى ذلك كله، يرى ذلك حسا ويعلم نقص من لم يطالع هذه العلوم ولم يقرأ هذه الكتب وأنه قريب النسبة من البهائم»[3]

وابن رشد الذي يقول : « وليس لقائل أن يقول أن هذا النوع من النظر في القياس العقلي بدعة إذ لم يكن في الصدر الأول فإن النظر في القياس الفقهي وأنواعه هو شيء استنبط بعد الصدر الأول وليس يرى أنه بدعة فكذلك يجب أن نعتقد في النظر في القياس العقلي».[4]

وصف ابن حزم تطرف المجتمع الأندلسي في عصره وهو ينظر إلى أن المنطق والعلوم الفلسفية منافية للشريعة الاسلامية مما نتج عنه اختلاف الناس فيها على أربعة ضروب، الثلاثة منها خطأ بشيع، وجور شنيع، والرابع حق مهجور، وصواب مغمور، وعلم مظلوم، ونصر المظلوم كما يراه ابن حزم فرضا وأجرا.

الصنف الأول : قوم حكموا على تلك الكتب بأنها محتوية على الكفر، وناصرة للإلحاد، دون أن يقفوا على معانيها أو يطالعوها بقراءتها، ودون أن يكلفوا أنفسهم عناء إقامة الدليل على دعواهم [5]، واعتبر ابن حزم أنه من نيل الأجر والثواب أن يكشف المرء الغمة عن هذا العلم.

الصنف الثاني: وهم قوم يعدّون هذه الكتب هذيانا من المنطق، وهذرا من القول، ولم يكلفوا أنفسهم عناء مطالعتها، ولا عرفوا مقدار فائدتها، فأكثر الناس سراع إلى معاداة ما جهلوه، وذم ما لم يعلموه.

---

[3] – المرجع نفسه ، ص 3.

[4] – ابن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، تحقيق أبو عمران الشيخ، وجلول البدوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1982م، ص 26، 27.

[5] – ابن حزم ، التقريب ، ص 6.

الصنف الثالث: وهم قوم قرأوا هذه الكتب، ووسموا أنفسهم بفهمها، ولكنهم قرؤوها بعقول مدخولة، وأهواء مؤوفة وبصائر غير سليمة، وتكون عندهم حب الاستخفاف، واستلانوا مركب العجز، وهم أبعد النّاس عن فهمها وأنآهم عن درايتها.[6]

الصنف الرابع: وهم قوم درسوا الكتب المنطقية بأذهان صافية، وعقول سليمة، فاستناروا بها، وفهموا معانيها، ووقفوا على أغراضها، ووجدوا هذه الكتب الفاضلة كالرفيق الصالح والصديق المخلص عند الشدائد ،يقول عنهم ابن حزم : « فلم يسلكوا شعبا من شعاب العلوم إلا وجدوا منفعة هذه الكتب أمامهم ومعهم، ولا طلعوا ثنية من ثنايا المعارف إلا أحسوا بفائدتها غير مفارقة لهم، بل ألفوها تفتح لهم كل مستغلق، وتليح لهم كل غامض في جميع العلوم»،[7]

وعندما سئل عن حكم تعلم النحو واللغة قال : « وأما النحو واللغة، ففرض على الكفاية، أيضا، كما قدمنا، لأن الله يقول : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾ **إبراهيم/4**، وأنزل القرآن على نبيه عليه السلام، ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾ **الشعراء/195** ، فمن لم يعلم النحو واللغة، فلم يعلم اللسان الذي به بين الله لنا ديننا وخاطبنا به، ومن لم يعلم ذلك فلم يعلم دينه، ومن لم يعلم دينه ففرض عليه أن يتعلمه، وفرض عليه واجب تعلم النحو واللغة، ولابد منه على الكفاية، كما قدمنا، ولو سقط علم النحو لسقط فهم القرءان وفهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولو سقط لسقط الإسلام»[8]

أهداف المداخلة:

1 – بيان أن التكامل المعرفي ممكن تحقيقه باعتباره كان من انشغالات علمائنا في السابق لمواجهة الغزو الفلسفي اليوناني والفارسي.

2 – حرص علمائنا على احتواء العلوم الوافدة وتوظيفها في إطار رؤية تكاملية تساهم في خلق محيط معرفي والاستفادة منه للبناء الحضاري.

---

[6] – المرجع نفسه، ص 7.

[7] – ابن حزم ، التقريب ، ص 8.

[8] – ابن حزم ، التلخيص لوجوه التخليص ، ص 127 ، 128

3 – بيان الآليات التي اعتمدها ابن حزم عند تناوله علم المنطق ودمجه في العلوم الشرعية مع المحافظة على بعدها العقدي والتربوي.

إثبات حجية العقل

تعريف العقل :يعرفه ابن حزم بقوله:" العقل: هو استعمال الطاعات والفضائل وهو غير التمييز لأنه استعمال ما ميز الإنسان فضله. فكل عاقل مميز وليس كل مميز عاقلا، وهو في اللغة المنع تقول عقلت البعير أعقله عقلا، وأهل الزمان يستعملونه فيما وافق أهواءهم في سيرهم وزيهم، والحق هو في قوله تعالى:" ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون". يريد الذين يعصونه ، وأما فقد التمييز فهو الجهل أو الجنون على حسب ما قابل اللفظ من ذلك".[9]

كما اشترط ابن حزم : « أنه لابد للفقيه أن يكون نحويا لغويا وإلا فهو ناقص ولا يحل له أن يفتي لجهله بمعاني الأسماء وبعده عن فهم الأخبار »[10]، وبناء على ذلك فإن « من وسم اسمه باسم العلم والفقه وهو جاهل للنحو واللغة، فحرام عليه أن يفتي في دين الله بكلمة، وحرام على المسلمين أن يستفتوه، لأنه لا علم له باللسان الذي خاطبنا الله تعالى به».[11]

وفي نفس السياق أوضح ابن حزم موقفه من تعلم المنطق حيث منع للمفتي أن يفتي بين اثنين لجهله بحدود الكلام، يقول ابن حزم : « وجملة ذلك في فهم الأسماء التي نص الله – تعالى – ورسوله عليه السلام، وما تحويه عليه من المعاني التي تقع عليها الأحكام، وما يخرج عنها من المسميات، وانقسامها تحت الأحكام على حسب ذلك، والألفاظ التي تختلف عبارتها وتتفق معانيها، وليعلم العالمون أن من لم يفهم هذا القدر فقد بعد عن الفهم عن ربه – تعالى – وعن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يجز له أن يفتي بين اثنين لجهله بحدود الكلام، وبناء بعضه على بعض، وتقديم المقدمات، وإنتاج النتائج التي يقوم بها البرهان وتصدق أبدا، ويميزها عن المقدمات التي تصدق مرة وتكذب أخرى، ولا ينبغي أن يعتبر بها »[12]، ويؤكد

---

[9] ابن حزم، الإحكام، ج1 ص 50.

[10] – ابن حزم الإحكام ، ج 1 ص 52.

[11] – ابن حزم ، التلخيص لوجوه التخليص ، ص 128

[12] – ابن حزم ، التقريب، ص9، 10.

على علم المنطق واللغة حيث اعتبرهما شرطين لمن جلس للفتوى، وأنه يجب عليه تعلم كيفية البراهين التي يتميز بها الحق من الباطل، وكيف يعمل فيما ظاهره التعارض من النصوص، واستدل على معرفة كيفية إقامة البرهان بقوله تعالى:﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ **البقرة/111**، وبناء على ذلك يكون حكم تعلم المنطق **فرض كفاية** ، فمن لا يعلم حدود المنطق وقواعده، ولا يميز بين المقدمات الصحيحة من غيرها لا يجز له الإفتاء لجهله بحدود الكلام.

أما الغزالي فقد كان أكثر صراحة حين علق تعلمه بكون من لا يحيط به فلا ثقة له بعلومه أصلا، وحاجة جميع العلوم النظرية إلى هذه المقدمة لحاجة أصول الفقه، وبهذا الصدد يقول الغزالي في مقدمة المنطق في أول "المستصفى" : « هذه مقدمة العلوم كلها ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلا »، وقوله في "المنقذ من الضلال"« وأما المنطقيات فلا يتعلق شيء منها في الدين نفيا ولا إثباتا، بل وهو نظر في طرق الأدلة والمقاييس وشروط مقدمة البرهان وكيفية تركيبها وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبها، وإن العلم : إما تصور وسبيل معرفته الحد، وإما تصديق وسبيل معرفته البرهان، وليس في هذا ما ينبغي أن ينكر فإنه من قبيل ما يتمسك به المتكلمون، وأهل النظر في الأدلة، وإنما يفارقونهم في العبارات والاصطلاحات، وبزيادة الاستقصاء في التفريعات والتشعيبات».[13]

وقد أجاد الإمام القرافي من أئمة المالكية حيث اعتبره شرطا من شرائط الاجتهاد، فقد ذكر في كتابه "شرح تنقيح الفصول"« على المجتهد أن يكون عالما بشرائط الحد والبرهان، والنحو واللغة والتصريف وأحوال الرواة وغيرها من الشروط»[14]، وهذا هو الرأي الأسلم والصحيح، ويبقى القول بتحريمه في غاية الفساد والبطلان لا يؤيده شرع ولا يستسيغه عقل، بل هو مخالف لمقاصد الشرع، وقد شهدت دراسة علم المنطق انتصارا كادحا خاصة بعدما قرنت دراستها بدراسة أصول الفقه وعلم الكلام والفلسفة.

---

[13] – الغزالي ، المنقذ من الضلال ، ص 102 ،103.

[14]– شهاب الدين القرافي ، شرح تنقيح الفصول ، نشر مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر،بيروت ، ط 1 ، سنة 1998م.ص 343.

وقد رفض الأستاذ طه عبد الرحمن تفسير كلمة التقريب بمعنى التسهيل والتيسير حيث يقول :« أن التسهيل أو التيسير غير التقريب،وإذا استعمل هو الأخر للدلالة على ما يدل عليه لفظ التقريب كما ورد في عبارة ابن حزم قوله : (فإن الحظ لمن آثر العلم وعرف فضله، أن يسهله جهده، ويقربه بقدر طاقته ، ويحققه ما أمكن ....) غير معنى التسهيل الذي هو استعمال الألفاظ اليسيرة البسيطة المشهورة التي يتساوى في إدراكها كافة الناس، عالمهم وجاهلهم أن يكون مطابقا لمعنى التبسيط »[15]، فالمدخل كما هو معروف في الاصطلاح الفلسفي : « دراسة تمهد لدراسة علم آخر، يقول كانط المنطق من حيث هو مدخل ليس إلا مجرد دهليز للعلوم»[16]، ومعنى ذلك يكون المدخل أقرب إلى التمهيد، أما التقريب فلا يمكن أن يقتصر على طلب السهولة في العبارة، أو استبدال الألفاظ الموحشة بالألفاظ المألوفة المتداولة فحسب بل إن التقريب أشمل من ذلك حيث يراعي فيه عدة اعتبارات منها :

. الاعتبار اللغوي من سهولة العبارة وجزالة اللفظ.

. الاعتبار العقدي :صحة الاعتقاد فلا ينقل معه قلقا في الاعتقاد.

. الاعتبار المعرفي : صحة الأدلة فلا ينقل معه قلقا في الفكر.

فالتقريب يأخذ بعين اعتبار السلامة في العبارة، والتحري في صحة الاعتقاد، والدقة في صحة الأدلة والبراهين يقول طه عبد الرحمن : « فيكون النص الفلسفي، من وجهة التقريب، لا يحمل قلقا في العبارة فحسب، بل يحمل أيضا قلقا في الاعتقاد وقلقا في الفكر..... »[17]، فالتقريب ليس مدخلا مختصرا بألفاظ سهلة وبسيطة كاشفا عن عمليات منطقية فحسب بل أراد منه ابن حزم

أن يكون صياغة جديدة و بأسلوب جميل وتحت ظروف مختلفة أوهمت الباحثين بالغلط والسقط الذي زعموا أنه وقع فيه.

---

[15] – طه عبد الرحمن ، تجديد المنهج ، ص 277.

[16] – المعجم الفلسفي، عن مجمع اللغة العربية، مصر، ط الهيئة العامة للمطابع الأميرية، مصر ، ص172.

[17] – طه عبد الرحمن ، تجديد المنهج ، ص 277.

الإلهام:

تعريفه: هو العلم الرباني الوارد على القلب منصبغا بحكم الحال الغالب عليه والحاكم عليه حالتئذ.

والإلهام الذاتي : يعنون به علوما ذاتية حاصلة عن إخبار من الحق بلا واسطة غير وغيرية بين المخبر والمخبر له. وهذان التعريفان مصدرهما من كلام العارف بالله الشيخ عبد الرزّق القاشاني.[18]

يعرفه ابن حزم بقوله:" الإلهام علم يقع في النفوس بلا دليل ولا استدلال ولا إقناع ولا تقليد وهو لا يكون إلا : إما فعل الطبيعة من الحي غير الناطق ومن بعض الناطقين أيضا كنسج العنكبوت وبناء النحل وما أشبه ذلك وأخذ الصبي الثدي وما أشبه ذلك: أو أول معرفة النفس قبل أوان استدلالها لنا كعلمنا أن الكل أكثر من الجزء وهو فيما عدا هذين الوجهين باطل".[19]

قال ابن حزم:" ويقال لمن قال بالإلهام ما الفرق بينك وبين من ادعى أنه ألهم بطلان قولك ، فلا سبيل له إلى الانفصال عنه.

والفرق بين هذه الدعوى ودعوى من ادعى أنه يدرك بعقله خلاف ما يدركه ببديهة العقل وبين ما يدركه بأوائل العقل أن كل من في المشرق والمغرب إذا سئل عما ذكرنا أننا عرفناه بأوائل العقل أخبر بمثل ما نخبر سواء بسواء وأن المدعين للإلهام ولإدراك ما لا يدركه غيرهم بأول عقله لا يتفق اثنان

---

[18]- عاصم ابراهيم الكيّالي، القاموس الصوفي، كتاب الناشرون، لبنان ، طبعة أولى سنة 2011م ص 35.

[19]ابن حزم، الإحكام، ج1 ص 40.

منهم على ما يدعيه كل واحد منهم إلهاما أو إدراكا ، فصح بلا شك أنهم كذبة. وأن الذي بهم وسواس".[20]

" وأيضا فإن الإلهام دعوى مجردة من الدليل ولو أعطي كل امرئ بدعواه المعراة لما ثبت حق ولا بطل باطل، ولا استقر ملك أحد على مال. ولا انتصف من ظالم، ولا صحت ديانة أحد أبدا ، لأنه لا يعجز أحد عن أن يقول ألهمت أن دم فلان حلال وأن ماله مباح لي أخذه وأن زوجه مباح لي وطؤها وهذا ما لا ينفك منه، وقد يقع وساوس كثيرة لا يجوز أن تكون حقا، وأشياء متضادة يكذب بعضها بعضا، فلابد من حاكم يميز الحق منها من الباطل، وليس ذلك إلا الحق الذي لا تتعارض دلائله، وقد بينا ذلك في التقريب".[21]

أما الأمثلة الفقهية المذكورة في عنوان الكتاب فهي تبين غرض ابن حزم في استثمار المنطق لإقامة الفقه على قواعد منطقية لبناء النتائج على مقدمات يقينية، وهي المحاولة التي سبق بها ابن حزم الغزالي في استمداد الأمثلة المنطقية من الفقه ، يقول إحسان عباس : « ولم يكن ابن حزم منفردا في محاولته تقريب المنطق بالاستكثار من الأمثلة الشريعية ولكن لعله أول من فتح هذا الباب، مثلما حاول ابن سينا استمداد الأمثلة من الطب، ومن بعد جاء الغزالي فعاد يستمد الأمثلة من الفقه فكتاب التقريب يثبت أن الغزالي مسبوق إلى هذه المحاولة»[22]، وإذا اقتصرنا نظرنا على الأمثلة الفقهية والكلامية وما يتعلق بالأسماء والصفات ومراتب الوجود وغيرها فرغم قلتها فقد أجاد ابن حزم في الاستدلال بها وأبدع، بل جعلها مرآة تظهر فيها صور نزعته الظاهرية مستعملا المنطق كمنهج للهجوم على خصومه من المذاهب الفقهية والكلامية المتعددة. هذا الاتجاه الجديد الذي يسعى إلى استثمار علم المنطق في ميدان الفقه والكلام والذي يعد ابن حزم أول من بادر إلى فتحه، نجد تطبيقاته على نطاق واسع في كتبه الكلامية والأصولية "كالفصل" و"الإحكام" حيث وظف القواعد المنطقية، كما نجد الغزالي قد اقتفى أثره حيث يقول : « ولما كانت الهمم في عصرنا مائلة من العلوم إلى الفقه بل مقصورة عليه، حتى حدانا ذلك إلى أن صنفنا في طرق المناظرة

---

[20] ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج 1 ص 17.

[21] ابن حزم ، المصدر نفسه، ج 1 ص 17

[22] – المرجع نفسه ، من مقدمة إحسان عباس ، ص ل .

...رغبنا ذلك أيضا في أن نورد في منهاج الكلام في هذا الكتاب أمثلة فقهية فتشمل فائدته ، وتعم سائر الأصناف جدواه وعائدته».[23]

وبذلك يكون ابن حزم قد نبه على شرعية صناعة المنطق، ودمجه ضمن دائرة العلوم المشروعة أو بعبارة أخرى دعوة إلى تداول المنطق بنزعته الظاهرية وتخليصه من أبعاده الأرسطية الميتافيزيقي ة دون إنكار فضل أرسطو في هذا العلم، فالحكمة ضالة مؤمن.

وبمقارنة بسيطة بين ابن حزم والفارابي نجد أن هذا الأخير قد عبّر عن رغبته في التقريب اللغوي للمنطق، ففي كتابه المختصر الصغير في كيفية "القياس على طريقة المتكلمين" بذل الفارابي جهده في بيان كيفية رد القياس الفقهي إلى القياس المنطقي بألفاظ مشهورة عند أهل اللسان العربي وبأمثلة متداولة عند أهل زمانه حيث يقول : « فإن أرسطوطاليس لما أثبت تلك الأشياء في كتبه جعل العبارة عنها بالألفاظ المعتادة عند أهل لسانه، فاستعمل أمثلة كانت مشهورة متداولة عند أهل زمانه. فلما كانت عادة أهل اللسان في العبارة غير عادة أهل تلك البلدان ، وأمثلة أهل هذا الزمان المشهورة غير الأمثلة المشهورة عند أولئك، صارت الأشياء التي قصد أرسطوطاليس بيانها بتلك الأمثلة غير بينة ولا مفهومة عند أهل زماننا حتى ظن أناس كثير من أهل هذا الزمان بكتبه في المنطق أنها لا جدوى لها وكادت تطرح »[24] ، ولقد عبّر الغزالي فيما بعد عن هذا الهدف من دمج علم المنطق ضمن العلوم الشرعية فقال : « وأما كونه أعم فمن حيث يشمل جدواه جميع العلوم النظرية : العقلية والفقهية، فإنا سنعرفك أن النظر في الفقهيات لا يباين النظر في العقليات، في ترتيبه وشروطه وعياره، بل في مآخذ المقدمات فقط »[25]، ومعنى ذلك أن أشكال الأقيسة لا تختلف باختلاف العلوم والفنون، وإنما الذي يختلف هو مادة تلك العلوم، ولا نستبعد أن يكون الغزالي قد اطلع على مواقف ابن حزم من المنطق دون أن يعتمد عليه في التأليف إذ المعروف أن الغزالي استقى دراسته المنطقية من كتب ابن سينا لذا كانت كتبه أكثر دقة لما توفر في عصره من التأليف في هذا الفن، وإذا كانت خطوة الغزالي في ضم صناعة المنطق إلى العلوم الشرعية اعتبرت قفزة متفردة صدرت من

---

[23] – الغزالي ، معيار العلم ، ص 28.

[24] – الفارابي، المنطق عند الفارابي، ص 68، 69.

[25] – الغزالي ، معيار العلم ، ص 28.

فيلسوف متكلم أشعري فلا يخفى عنا سبق ابن حزم إلى هذا الميدان وتعتبر خطوته أكثر جرأة وإقداما بحكم أنها صدرت من محدث فقيه متكلم ظاهري، وفي بيئة أشد عداوة لعلوم الأوائل، وفي ظروف استثنائية شهدت صراعات سياسية وتطاحن مذهبي .

فهناك تشابه الأدلة الفلسفية على حدوث العالم بين الكندي وابن حزم، بالإضافة إلى تشابه الاصطلاح الكلامي بينهما، ويظهر بعضه فقط في الاصطلاح المنطقي كالمائية بدل الماهية والانية وغيرها، ورسائل ابن فتحون الذي قال عنه ابن حزم في رسالته في "فضل الأندلس وذكر رجالها": «وأما الفلسفة فإني رأيت فيها رسائل مجموعة وعيونا مؤلفة لسعيد بن فتحون السرقسطي المعروف بالحمار، دالة على تمكنه من هذه الصناعة»[26]، وكذلك رسائل الرّازي المنطقية، فقد كان ابن حزم مهتما بالرد عليه في العلم الإلهي، والراجح لدينا أنها مجموع من الرسائل الفلسفية اعتمد فيها على النصوص المنسوبة للأوائل وأعاد شرح مستغلقها .

وبهذا الصدد يقول ابن حزم : « وأما علم النظر والديانات والأهواء و المقالات فلا غنى لصاحبه عن الوقوف على معاني هذه الكتب لما سنبينه من أبوابه إن شاء الله، وجملة ذلك معرفة ما يقوم بنفسه مما لا يقوم بنفسه، والحامل والمحمول، ووجوه الحمل في الشغب و الإتباع وغير ذلك».[27]

ولا عجب أن تجده ينصح طالب العلم بقراءة "التقريب" حيث يقول : « وأما الذي يعتقده أهل التحقيق الطالبون معرفة الأمور على ما هي عليه فهو أن يبحثوا ،فيما يطلبون معرفته،على كل حجة احتج بها أهل فرقة في ذلك الباب، فإذا نقضوها ولم يبقوا منها شيئا تأملوها كلها حجة حجة، فميزوا الشغبي منها والإقناعي فاطرحوهما، وفتشوا البرهاني على حسب المقدمات التي بيناها في كتابنا الموسوم "بالتقريب في مائية البرهان وتمييزه مما يظن أنه برهان وليس ببرهان"، وفي كتابنا هذا، وفي كتابنا الموسوم "بالأحكام في أصول الأحكام"، فإن من سلك تلك الطريق التي ذكرنا وميز في المبدأ ما يعرف بأول التمييز والحواس، ثم ميز ما هو البرهان مما ليس برهانا، ثم لم يقبل إلا ما كان برهانا راجعا رجوعا صحيحا ضروريا إلى ما أدرك

---

[26] – ابن حزم ، رسالة في فضل الأندلس و ذكر رجالها.. ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي ، ج 2 ص 185

[27] – ابن حزم ، التقريب ، ص 10.

بالحواس، أو ببديهة التمييز، وضرورة في كل مطلوب يطلبه ، فإن شارع الحق يلوح له واضحا ممتازا من كل باطل دون إشكال، والحمد لله رب العالمين».[28]

ب) دوافع أصولية وفقهية:

شدّد ابن حزم لهجته على معارضي دراسة المنطق الذين حكموا عليها فعابوها وهم لا علم لهم بها ولا طالعوها ولا قرءوها، وهي كتب في حدود الكلام تظهر فائدتها في كيفية وقوع الأسماء على مسمياتها وتمييز البراهين الصحيحة عن غيرها، وبهذا الصدد يقول ابن حزم: «وليعلم العالمون أن من لم يفهم هذا القدر فقد بعد عن الفهم عن ربه، تعالى، وعن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يجز له أن يفتي بين اثنين لجهله بحدود الكلام، وبناء بعضه على بعض، وتقديم المقدمات، وإنتاجها النتائج التي يقوم بها البرهان وتصدق أبدا، ويميزها من المقدمات التي تصدق مرة وتكذب أخرى، ولا ينبغي أن يعتبر بها».[29]

وهو موقف صريح في بيان دور المنطق في ضبط القواعد الأصولية لبناء أحكام الشريعة على القطع واليقين، فقد أحس ابن حزم أن مذهبه الظاهري بحاجة إلى ضوابط لغوية وعقلية فعالة في إثراء بعض المباحث الأصولية، بعد أن شاهد بنفسه اختلاف الفتوى والتي اعتبرها انحرافات خطيرة وقعت فيها المذاهب الفقهية نتيجة اعتمادها على القياس الفقهي ودليل الخطاب، بينما اعتبر الظاهرية "الدليل" كأصل رابع من مصادر الشريعة، وهو أصل مأخوذ من الإجماع والنص، والدليل المأخوذ من النص له سبعة أقسام مبنية على مقدمات منطقية.

فالحاجة إلى معرفة ضوابط المقدمات الصحيحة، ومعرفة موجبات العقول وكيفية طرق الاستدلال الصحيحة، فوائد لا ينكرها إلا جاهل « ومن وفقه الله تعالى لبيان ما يتضاعف فيه أجر المعتقد والعامل بما عضده البرهان، فقد عرضه لخير كثير، وامتن عليه بتزايد الأجر وهو في التراب رميم، وذلك حظ لا يزهد فيه إلا محروم، فكتبنا كتابنا المرسوم "بكتاب التقريب"، وتكلمنا على كيفية الاستدلال جملة، وأنواع البرهان الذي يستبين الحق من الباطل في كل مطلوب، وخلصنا مما يظن أنه برهان وليس ببرهان، وبينا كل ذلك

---

[28]– ابن حزم ، الفصل، ج 5، ص 263.

[29] – التقريب، ص10.

بيانا سهلا لا إشكال فيه، ورجونا بذلك الأجر من الله عز وجل، فكان ذلك الكتاب أصلا لمعرفة علامات الحق من الباطل، وكتبنا أيضا كتابنا المرسوم "بالفصل"، فبينا فيه صواب ما اختلف الناس فيه من الملل والنحل والبراهين التي أثبتنا جملها في كتاب التقريب ولم ندع بتوفيق الله عز وجل لنا للشك في شيء من ذلك مساغا، والحمد لله كثيرا، ثم جمعنا كتابنا هذا(الإحكام) وقصدنا فيه بيان الجمل في مراد الله عز وجل منا فيما كلفناه من العبادات والحكم بين الناس بالبراهين التي أحكمناها في الكتاب المذكور آنف».[30]

يحثّ ابن حزم طلبة العلم بعد تعلمهم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن على الانتقال إلى علم النحو واللغة والشعر، فإذا بلغ الحد انتقل إلى علم العدد والحساب والهيئة فإذا بلغ الإنسان الحد من العلوم المذكورة « أخذ في النظر في حدود المنطق وعلم الأجناس والأنواع والأسماء المفردة

والقضايا والمقدمات والقرائن والنتائج ليعرف المرء ما البرهان وما الشغب، وكيف التحفظ مما يظن أنه برهان وليس ببرهان، فبهذا العلم يقف على الحقائق كلها ويميزها من الأباطيل تمييزا لا يبقى معه ريب »[31]، بعدها ينظر في الطبيعيات وتركيب العناصر، وفي تراكيب الحيوان والنّبات ليقف على عظمة الصانع، وعلاقة علم المنطق بالعلوم الشرعية علاقة وطيدة وكتبه «كلها سالمة مفيدة دالة على توحيد الله عزّ وجل وقدرته، وعظيمة المنفعة في انتقاد جميع العلوم وعظم منفعة الكتب التي ذكرنا في الحدود ففي مسائل الأحكام الشرعية بها يتعرف كيف التوصل إلى الاستنباط وكيف تؤخذ الألفاظ على مقتضاها وكيف يعرف الخاص من العام والمجمل من المفسر وبناء الألفاظ بعضها على بعض وكيف تقديم المقدمات وإنتاج النتائج وما يصح من ذلك صحة ضرورية أبدا وما يصح مرة وما يبطل أخرى وما لا يصح البتة وضرب الحدود التي من شذ عنها كان خارجا عن أصله ودليل الخطاب ودليل الاستقراء وغير ذلك مما لا غناء للفقيه المجتهد لنفسه ولأهل ملته منه».[32]

لكن ابن حزم يرى غير ذلك بل إنه يؤمن بفائدة المنطق حتى فيما يتعلق بالشريعة، فقد حرّم على المفتي أن يفتي بين الاثنتين إذا كان يجهل بحدود الكلام، ولا نرى أحدا قبله سبقه إلى هذا الموقف الصريح، يقول ابن

---

[30]– ابن حزم ، الإحكام، ج1، ص 11، 12.

[31]– ابن حزم ، مراتب العلوم، (رسائل ابن حزم الأندلسي)، مجلد 2 ، ص72.

[32] –ابن حزم ، الفصل، ج2، ص 95.

حزم: « وليعلم العالمون أن من لم يفهم هذا القدر فقد بعد عن الفهم عن ربه تعالى وعن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يجز له أن يفتي بين اثنين لجهله بحدود الكلام، وبناء بعضه على بعض، وتقديم المقدمات التي تصدق مرة وتكذب أخرى ولا ينبغي أن يعتبرها »[33]، وقد أيد أبو حام د الغزالي فتوى ابن حزم في ضرورة تعلم الفقيه حدود المنطق كما جاء في مقدمة المستصفى «هي مقدمة العلوم كلها، ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلا».[34] إننا أمام دعوة صريحة إلى إدخال صناعة المنطق في العلوم الشرعية وهي دعوة لم تصدر من فلاسفة الإسلام وإنما صدرت من قطبين يمثل أحدهما المذهب الظاهري الموسوم بالتزمت والتشدد والوقوف عند ظاهر النص، وثانيهما يمثله فقيه شافعي وأحد أقطاب المدرسة الأشعرية.

ويوضح ابن خلدون الفائدة الحقيقية من علوم الآلة كالنحو والمنطق – وهو موقف سبق وأن عبّر عنه ابن حزم في مختلف مصنفاته – فيقول :«وأما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية والمنطق وأمثالهما، فلا ينبغي أن ينظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط، ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل، لأن ذلك يخرج بها عن المقصود، إذ المقصود منها ما هي آلة له لا غير ، فكلما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار الاشتغال بها لغوا، مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها، وربما يكون ذلك عائقا عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وسائلها، مع أن شأنها أهم، والعمر يقصر عن تحصيل الجميع على هذه الصورة، فيكون الاشتغال بهذه العلوم الآلية تضييعا للعمر وشغلا بما لا يغني»[35]،

ونستطيع أن نقول بعبارة مختصرة أن علم المنطق عند ابن حزم هو **علم التمييز**، وموضوعه إحكام الأدلة والبراهين الصحيحة وتمييزها عن غيرها، كذلك أطلق ابن حزم مصطلح **معيار العلم** على المنطق فقال: « وأما علم المنطق فقد بيّناه في هذا الديوان **وهو المعيار** على كل علم »[36]، وهي تسمية سبق بها الغزالي الذي أطلق على كتابه المنطقي لفظ "معيار العلم في فن المنطق"، ويقسم ابن حزم علم المنطق إلى قسمين :

---

[33]– ابن حزم ، التقريب ، ص 10.

[34]– الغزالي ، المستصفى،ج1 ص 20.

[35]– ابن خلدون ، المقدمة ، ص 555.

[36] – ابن حزم ، التقريب،202.

عقلي وحسي، وبهذا الصدد يقول ابن حزم: « وعلم المنطق ينقسم إلى عقلي وحسي، أما العقلي فالهي وطبيعي، وأما الحسي فطبيعي فقط »[37]، فالمقدمات العقلية والمقدمات الحسية هما أساس المعرفة، كما نظر إلى المشاهدة والتجربة كوسيلة لحصول المعرفة، وهي القسمة التي يخالف فيها الرواقيين « فقد كانوا يقسمونه إلى علمين: علم البيان وعلم الجدل، وهذا بدوره مفهوم جوهريا، كما في طوبيقا أرسطو، بوصفه فن النقاش وبدوره يتفرّع المنطق إلى جزئين، الأول يختص بالدّلات ويتناول النحو وكل ما يتعلق باللغة، والآخر يختص بالمدلولات، وعلى هذا الفرع العلمي الأخير يتركز ما نسميه اليوم المنطق »[38]، فقد تعلقت انشغالات الرواقيين على تحليل اللغة حتى تكون البنى المنطقية متوافقة مع البنى النحوية، ونحن لا ننكر اهتمامات ابن حزم بالتقريب اللغوي للمنطق الأرسطي وهي انشغالات فرضتها عليه حرصه على حماية علم المنطق من الآراء الطفيلية التي أضافها الأوائل والتي لها صلة مباشرة بلغتهم اليونانية، أو حمايتها من اجتهادات فاسدة أضافها الأصوليون لنصرة مذاهبهم الفقهية إلا أن الهاجس الحقيقي عند ابن حزم يهدف بالأساس إلى تبني المنهج العقلي والمنهج الحسي كطريق لحصول المعرفة، فهو يقترب من الرواقيين في تفسيرهم المادي وتبنيهم الفلسفة المادية.

الإمام:

يقول الشيخ محمد جميل حمود :" أعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتّم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربّين مهما عظموا وكبروا، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة".

تعريفه:

" الإمامة هي الولاية والسلطنة الإلهية على عامّة الخلق".[39]

---

[37] – ابن حزم ، رسالة مراتب العلوم ، ج3، ص 160.

[38] – روبير بلانشي، المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل، ص 143 – 144.

[39] محمد جميل حمود، الفوائد البهية في شرح عقائد الامامية، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط رابعة 2010م ،ج2 ص 15.

وبناء على ما سبق ذكره يكون الإمام هو صاحب القوة الملكوتية في العوالم اللاهوتية والناسوتية المعبر عنها بعالم الأمر ليكون قدوة للبشر في جانب الظاهر والباطن وليقود الأمة إلى كمال التكوين والتشريع، فهو بوصوله إلى مقام الكشف واليقين صار له الهيمنة على عالم الأمر، وصار باطن الأفعال مكشوفا له، وصار بإمكانه – أي بسيطرته على الباطن – أن يهدي القلوب إلى المقاصد والغايات.[40]

"فمفهوم الإمامة أرفع من مفهوم النبوة، وإلا لما شرّف بها سيدنا إبراهيم عليه السلام إذ لا يشرف المرء بالأدون، لا سيّما وأن النّبي إبراهيم عليه السلام كان نبيا قبل نيله الإمامة، فليس كل الأنبياء أئمة بل بعضهم بحسب سيرهم وقربهم من المبدأ الفياض، فبين النبوة والإمامة عموم من وجه، فربما تجتمع النبوة والإمامة عند بعض أفراد النبيين كإبراهيم عليه السلام ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد تفترق حيث يكون شخص نبيا ولا يكون إماما، كما أن أئمتنا عليهم السلام كانوا نائلين مقام الإمامة ولكنهم لم يكونوا أنبياء بالمعنى الاصطلاحي أعني الوحي التشريعي، إذ لا نبي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم".[41]

قال ابن حزم:" ويقال لمن قال بالإمام بأي شيء عرفت صحة قول الإمام أببرهان، أم بمعجزة أم بالإلهام، أم بقوله مجردا؟

فإن قال ببرهان كلف بأن يأتي به ولا سبيل له إليه، وإن قال بمعجزة ادعى البهتان لاسيما الآن وهم يقرون أنه قد خفي عنهم موضعه منذ مائة وسبعين عاما، وان قالوا بالإلهام سئلوا بما ذكرنا في إبطال مذهبهم دون دليل ولا سبيل إلى وجه خامس أصلا.[42]

قال الشيخ محمد رضا المظفّر:" وعليه لا يجوز أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى، سواء أبى البشر أم لم يأبوا، وسواء ناصروه أم لم ينصروه أطاعوه أم لم يطيعوه،

---

[40] محمد جميل حمود، الفوائد البهية شرح العقائد الامامية، ج2 ص 16.

[41] محمد جميل محمود، الفوائد البهية..ج 2 ص16.

[42] ابن حزم، الإحكام، ج1 ص 17.

وسواء كان حاضرا أم غائبا عن أعين الناس ، إذ كما يصح أن يغيب النبي كغيبته في الغار والشعب صح أن يغيب الإمام، ولا فرق في حكم العقل بين طول الغيبة وقصرها".[43]

"أما علمه فهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبيّ أو الإمام من قبله، وإذا استجدّ شيء لابد أن يعلمه من طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله تعالى فيه، فإن توجه إلى شيء وشاء أن يعلمه علمه على وجهه الحقيقي ، لا يخطأ فيه ولا يشتبه ولا يحتاج في كل ذلك إلى البراهين العقلية ولا إلى تلقينات المعلمين، وان كان علمه قابلا للزيادة والاشتداد، ولذا قال صلى الله عليه وسلم في دعائه:" رب زدني علما".[44]

إبطال التقليد:

تعريف التقليد:

يعرفه ابن حزم بقوله:"التقليد هو اعتقاد الشيء لأن فلانا قاله ممن لم يقم على صحة قوله برهان، وأما إتباع من أمر الله بإتباعه فليس تقليدا بل هو طاعة حق لله تعالى". [45]

قال أبن حزم:" ويقال لمن قال بالتقليد ما الفرق بينك وبين من قلد غير الذي قلدت أنت بل كفر من قلدته أنت أو جهله، فإن أخذ يستدل في فضل من قلده كان قد ترك التقليد وسلك في طريق الاستدلال من غير التقليد".

الأخبار:

قال ابن حزم:" ويقال لمن قال لا يدرك شيء إلا من طريق الخبر، أخبرنا الخبر كله حق أم كله باطل، أم منه حق وباطل ؟ فإن قال هو باطل كله كان قد أبطل ما ذكر أنه لا يعلم شيء إلا به وفي هذا إبطال قوله وإبطال جميع العلم.، وان قال حق كله عورض بأخبار مبطلة لمذهبه فلزمه ترك مذهبه

---

[43] محمد جميل حمود، الفوائد البهية في عقائد الامامية، ج 2، ص 8.

[44] محمد جميل حمود، الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية، ج 2 ص 118.

[45] ابن حزم، الإحكام، ج1 ص 40.

لذلك أو اعتقاد الشيء وضده في وقت واحد وذلك ما لا سبيل إليه، وكل مذهب أدى إلى المحال والى الباطل فهو باطل ضرورة، فلم يبق إلا أن من الخبر حقا وباطلا، فإذا كان كذلك بطل أن يعلم صحة الخبر بنفسه إذ لا فرق بين صورة الحق منه وصورة الباطل. فلابد من دليل يفرق بينهما، وليس ذلك إلا لحجة العقل المفرقة بين الحق والباطل".[46]

قال ابن حزم:" ثم يقال لجميعهم بأي شيء عرفتم صحة ما تدعون إليه وصحة التوحيد والنبوة ودينك الذي أنت عليه؟ أبعقل دلك على صحة كل ذلك أم بغير عقل؟ وبأي شيء عرفت فضل من قلدت أو صحة ما ادعيت أنك ألهمته بعد أن لم تكن ملهما إليه ولا مقلدا له برهة من دهرك، وبأي شيء عرفت صحة ما بلغك من الأخبار بعد أن لم تكن بلغتك وهل لك عقل أم لا عقل لك؟ فإن قال : عرفت كل ذلك بلا عقل ولا عقل لي فقد كفينا مؤنته وبلغنا من نفسه أكثر مما رغبنا منه، فإننا إنما رغبنا منه الاعتراف بالخطأ فقد زادنا في نفسه منزلة لم نرغبها منه ، وسقط الكلام معه ولزمنا السكوت عنه وإلا كنا في نصاب من يكلم السكارى الطافحين والمجانين المتعرين على الطرق، فإن قال لي عقل وبعقلي عرفت ما عرفت فقد أثبت حجة العقل وترك مذهبه الفاسد ضرورة".[47]

تعلم الحساب: يرى ابن حزم أنه إذا بلغ المرء من النحو واللغة والحد المطلوب فلينتقل إلى تعلم علم العدد وهو علم الحساب، فليحكم جدول الجمع والطرح والضرب والقسمة، كما يدرس علم الهندسة " وليأخذ طرفا من المساحة ، وليشرف على الأرثماطيقي – وهو علم طبيعة العدد – وليقرأ كتاب أقليدس قراءة متفهم له، واقف على أغراضه ، عارف بمعانيه، ف انه علم رفيع، به يتوصل إلى معرفة نصبة الأرض ومساحتها وتركيب الأفلاك ودورانها ومراكزها وأبعادها" [48]. كما يوصي بمطالعة كتاب المجسطي لمعرف الكسوف والأوقات وزيادة الليل والنهار والمد والجزر وهندسة البناء وجلب المياه.

---

[46] ابن حزم ، الإحكام ، ج1 ص 18.

[47] ابن حزم، الإحكام، ج 1 ص 18.

[48] - ابن حزم، مراتب العلوم، ص 69.

تعلم المنطق:

إذا بلغ المرء مستوى معينا فعليه بدراسة المنطق يقول ابن حزم:" فإن من سلف من الحكماء – قبل زماننا– جمعوا كتبا ورتّبوا فيها فروق وقوع المسميات تحت الأسماء التي اتفقت جميع الأمم في معانيها ، وان اختلفت في أسمائها التي يقع بها التعبير عنها، إذ الطبيعة واحدة ، والاختيار مختلف شتى، ورتبوا كيف يقوم بيان المعلومات من تراكيب هذه الأسماء، وما يصح من ذلك وما لا يصح، وثقفوا هذه الأمور، فحدّوا في ذلك حدود ورفعوا الإشكال، فنفع الله تعالى بها منفعة عظيمة، وقرّبت بعيدا، وسهلت صعبا، وذللت عزيزا، فمنها كتب أرسطاطاليس الثمانية المجموعة في حدود المنطق".[49]

إن دعوة ابن حزم إلى تعلم علم المنطق واجهت معارضة شرسة من المعارضين في المجتمع الأندلسي، ويظهر ذلك في الحدة التي تبناها ابن حزم في مواجهة خصومه ووصفهم بأقبح الأوصاف، وبهذا الصدد يقول: فإن قال جاهل: فهل تكلم أحد من السّلف الصّالح في هذا؟

قيل له: إن هذا العلم مستقر في نفس كل ذي لبّ، فالذهن الذّكّي واصلّ بما مكنّه الله تعالى فيه من سعة الفهم، إلى فوائد هذا العلم، والجاهل متسكع كالأعمى حتى ينبّه عليه، وهكذا سائر العلوم. فما تكلم أحد من السّلف الصالح رضي الله عنهم في مسائل النّحو، لكن لما فشا جهل النّاس باختلاف الحركات التيّ باختلافها تختلف المعاني في اللغة العربية، وضع العلماء كتب النّحو، فرفعوا إشكالا عظيما، وكان ذلك معينا على الفهم لكلام الله عز وجل وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم وكان من جهل ذلك ناقص الفهم عن ربّه تعالى، فكان هذا من فعل العلماء حسنا وموجبا لهم أجرا."[50]

وعلى نفس المنوال يواصل ابن حزم حديثه عن جهود العلماء في وضع مؤلفات وتصانيف في اللغة والفقه وغيرها من العلوم، ولا يصح الاعتراض بكون هذه العلوم لم تعرف في زمن السلف الصالح

---

[49] ابن حزم، التقريب للحد المنطق والمدخل اليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تحقيق عبد الحق التركماني،دار ابن حزم، بيروت، ط أولى2007م، ص 316.

[50]ابن حزم، التقريب لحد المنطق والمدخل اليه بالالفاظ العامية والأمثلة الفقهية،تحقيق عبد الحق التركماني، دار ابن حزم، لبنان، ط أولى 2007م، ص 312.

الذي كان في غنى عنها بما أبانهم الله تعالى به من الفضل ومشاهدة النبوة، لكن الذين جاؤا من بعدهم فقراء إلى هذه العلوم.

يعتبر ابن حزم أول من أدخل المنطق إلى العلوم الشرعية بعد أن ساد الرأي بأن الغزالي هو من أدخل المنطق ، لكن كتاب "التقريب لحد المنطق" يثبت أن الغزالي مسبوق بابن حزم.

تعلم الطبيعيات : بعد تعلم الحساب والمنطق بمعرفة البراهين يأتي دور الطبيعيات كمرحلة يتعلمها الطالب في مساره العلمي يقول ابن حزم:" وينظر في الطبيعيات وعوارض الجو وتركيب العناصر وفي الحيوان والنبات والمعادن، ويقرأ كتب التشريح ليقف على محكم الصنعة وتأثير الصانع وتأليف الأعضاء واختيار المدبر وحكمته وقدرته".[51]

تحدث بعد ذلك ابن حزم عن دراسة التاريخ وبين أهميته وعلم الشريعة وبين منفعتها وأعتبرها أعظم منفعة .

[51] ابن حزم، مراتب العلوم، ص 72.